مجلة العميد
Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

دعاء كميل في ضوء الاشاريات الشخصية: قراءة تداولية

أمجد ستار ساجت علي [١]

١-المديرية العامة للتربية محافظة بغداد/ الرصافة٢، العراق؛ amalhuseiny@uowasit.edu.iq
دكتوراه لغة عربية/ مدرس

تاريخ الاستلام:
٢٠/ ٣/ ٢٠٢٢
تاريخ القبول:
٦/ ٦/ ٢٠٢٢
تاريخ النشر:
٣١/ ٣/ ٢٠٢٤

الكلمات المفتاحية:
الاشاريات الشخصية، نظرية هانسون الدرجية، القارئ الضمني، القارئ الافتراضي.

السنة(١٣)-المجلد (١٣)
العدد (٤٩)
رمضان ١٤٤٥ هـ
آذار ٢٠٢٤م

DOI:
10.55568/amd.v13i49.117-138

ملخص البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على مدى فاعلية الاشاريات الشخصية داخل النص وهو دراسة في نص دعاء كميل الذي علّمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لكميل بن زياد (رضوان الله عليه)، ينتمي هذا البحث الى المنهج التداولي لنص ترثي قديم، وهذا النص اشتهرت النسبة فيه الى سيد البلغاء والمتكلمين ﷺ الا ان المصادر تشير إلى أن الدعاء في أصله للعبد الصالح الخضر ﷺ حاول الباحث فيه أن يجعلها دراسة تطبيقية يبتعد فيها عن نقل النصوص والاقتباسات التنظيرية الى الدراسة العملية لاستخراج جماليات هذا النص، وما يتضمنه من رسائل يقدمها المتكلم للقارئ على تعدد القراء الذين وضع المتكلم نصه لهم أو القراء الذين سيؤولون هذه النصوص لقرائهم.

CC BY NC

Kumayl Supplication in Light of Personal Semiotics: Pragmatic Reading

Amjad Sattar Sajit Ali [1]

1- General Education Directorate of Baghdad/ Rusafa2, Iraq;
amalhuseiny@uowasit.edu.iq
PhD in Arabic/ Professor

Received:
20/3/2022
Accepted:
6/6/2022
Published:
31/3/2024

Keywords:
Personal denotations, Hanson gradation theory, implicit reader

Al-Ameed Journal
Year(**13**)-Volume(**13**) Issue (**49**)
Ramadhan 1445 AH.
March 2024 AD
DOI:
10.55568/amd.v13i49.117-138

Abstract:

This research sheds light on the effectiveness of personal denotations within the text, which is a study in the text of Kumayl's supplication, which was taught by the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib, peace be upon him. The sources indicate that the supplication in its origin belongs to the righteous servant Al-Khidhr, peace be upon him. The researcher tried in it to make it an applied study in which he moves away from transferring texts and theoretical quotes to a practical study to extract the aesthetics of this text and the messages it contains that the speaker presents to the hypothetical reader.

الإشاريات الشخصية في دعاء كميل:

الاشاريات الشخصية:

الإشاريات في المعجم هي أشكال فارغة تمثل المقام صفر[١] لأنّها تمنح الدلالة عندما تكونُ داخلَ النصِ؛ وهي علامات لغوية يحدد مرجعها الخطاب في بعده التداولي[٢]، وهي علامات لغوية لا يمكن انتاجها أو تفسيرها إلا داخل السياق[٣]؛ لذا جعلها "هانسون" مكونا للدرجة الاولى من درجات منهجه (التدريجي)[٤].

والاشاريات علامات تؤدي اغراضاً متعددة يقف في مقدمتها الغرض التداولي، والاختصار الكمي اللغوي وحتى الغموض في النصوص الادبية العليا فهي عنصر شكلي، ودلالي، وتداولي؛ أي انها مشع أفقي، وعمودي، وهذا المشع جمالي ومعنوي يتضمن الأعراض والجواهر.

والاشاريات مظهر من مظاهر اتقان اللغة للمتحدثين بها، على الاقل في اللغة العربية على ما يعرف الباحث، فاستعمالها لغير الناطقين بالعربية من المتقنين لها يعد مشكلا، فالأطفال في مقتبل طفولتهم وبداياتهم الاولى في استعمال اللغة لايحسنون استعمال تلك الاشاريات فهم لا يضعونها في موضعها الصحيح حتى عند عمر الرابعة او الخامسة، وهذا يسمع من عند الكبار ايضا ممن نجد العجمة في ألسنتهم فمثلا لو سمعنا المتكلمين بالعربية من إخواننا في الوطن من القومية الكردية نجدهم يستعملون ضمير المذكر للمؤنث او بالعكس مما يشير الى أن هذه الاشاريات عامل من عوامل التفريق في اللسان العربي.

والاشاريات عنصر خامل خارج النص وفعال جدا داخل أي نص من النصوص[٥]، وهي عامل خلاف بين الكوفيين والبصريين نظرا لتداوليتها فقد((ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم- نحو "هذا، وذاك"- أعرف من الاسم العلم_ نحو "زيدٌ، وعمرو" وذهب

١ سمير، يسرى خلف. "الأبعاد التداولية في نهج البلاغة" (الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦م)، ١٤٣.
٢ أرميكو، فرانسواو. المقاربة التداولية (مركز الانماء القومي، ١٩٨٦م)، ٤١; الشهري، عبد الهادي. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ٥٢.
٣ نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (مصر: دار المعرفة الجديدة، ٢٠١١م)، ١٦.
٤ أرميكو، المقاربة التداولية٤١.
٥ الحسيني، أمجد ستار. "نصوص كتاب(من لايحضره الفقيه) للشيخ الصدوق ٣٨١هـ دراسة تداولية" (الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠م)، ٢٤.

البصريون إلى أن الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم، واختلفوا في مراتب المعارف؛ فذهب سيبويه إلى أن أعرف المعارف الاسم المضمر؛ لأنّه لا يضمر إلا وقد عرف))[٦] فالكوفيون نظروا لهذه الاشاريات في خطابها المحكي فكانت "أعرف المعارف" أي أن الكوفيين نظروا لها داخل الخطاب الشفاهي الحضوري، فيما نظر اليها البصريون بلحاظ خطابها المكتوب فجعلوا العلم أعرف منها، وهم في ذلك محقون لأنهم ينظرون الى النص رسالة لاتقف في زمان ومكان واحد؛ أمّا سيبويه فقد نظر اليها نظرة شمولية وفق منهجه اللغوي المدمج فلم يغب عن باله البعدان المحكي والمكتوب عند تعليله معرفيتها "أنّ ابهامها جاء بعد أن عرفت في الخطاب" لأن المتحدث لا يلجأ إلى الاشارة التي بعد معرفيتها عند المخاطب أو لأن المتحدث قاصد للإيهام او التشفير مع التأكيد على أن هذه التشفير للرسالة من أجل تخصيصها بمتلقٍ معين؛ فسيبويه يعتقد أن المتحدث لا يذكر الضمير الا بعدما عرف الشخص المراد وأن العربي لا يعدل من الاسم الى الضمير حتى يعرفه حق المعرفة فهو لا يقول (هذا أو ذاك) حتى يسبقه بتعريف وربما يكون الاسم مبهما فيخبر عنه فلو قلنا على سبيل المثل (أحمد مجد) فأحمد مفهوم معروف عند المتلقي قبل أن يخبر عنه فلو كان مجهولا وهو على أعلميته فلم يجز للقائل أن يخبر عنه؛ لأن المخبر عنه اذا لم يكن (هو هو) فهو "غيره" والغيرية موهمة للمخاطب فان لم يكن للمتكلم غاية في ذلك الايهام كان لغوا يتنزه عنه العاقل.

والاشاريات على الرغم من خمولها خارج النص الا انها مشيرات تحتاج الى وضعها في استعمالها الصحيح فلا يجوز أن نضع إشارية " هذا" للمؤنث كما لا تستعمل "هذه" للمذكر كما لا يجوز أن نستعمل إشارية " أنا " في الخطاب الطبيعي للمفرد او المجموع، وهي دالة على المفرد المتكلم وهنا لا أتحدث عن النصوص الشعرية أو المقطوعات الفنية التي يمكن أن يستعمل فيها الشاعر او الناثر الاشارية استعمالا خارج النظام اللغوي لأغراض جمالية بلاغية أو مقاصد تداولية أو صور فنية.

٦ الانباري، كمال الدين. الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تحقيق عبد الحميد، محمد محي الدين ط٤ (مصر: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦١م)، المسألة واحد ١٠١/ ٧٠٧.

والاشاريات لا تقتصر على الضمائر الشخصية التي تدل على العاقل او غير العاقل بل حتى الاعداد تعد من الاشاريات التي تكون نابضة بغيرها؛ لذا احتاجت الى التمييز بمميز فلو عدنا لقوله تعالى:﴿ ذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف٤). فالعدد "أحد عشر" هنا لايكون مفهوما الا بتمييزه بـ " كوكبا" ولكن هنا يتبادر الى الذهن السؤال: هل هذا يعني أن الاشاريات الشخصية بما فيها الاعداد هي كالحروف التي لا معنى لها دون اضافتها؟

والجواب هنا يرد من وجوه:

١-إلاشاريات لا تشبه حروف المباني وإن كان الكلام مبنيا من تلك الحروف لان حرف المباني كما يقول الاصوليون هي المادة الاولية التي تتشكل منها المواد كالحديد الذي تصنع منها الأبواب او المناضد.

٢-الإشاريات لها قرابة من حروف المعاني التي في نفسها تشير الى معانٍ الا انها –اي الحروف– لا تأخذ او تمنح المعنى الا في ائتلافها بالكلام او الجملة الا ان الاشاريات في صيغتها أكثر معرفية من حروف المعاني فهي لا تحتاج في جواب الاستفهام أن تذكر معها مميزا فلو سألت مثلا في الأعداد (كم كوكبا رأى يوسف) لاكتفيت للاجابة بالقول (أحد عشر) وكان كلاماً مفيداً ولو قدمنا مثالاً آخر عن الاشاريات الشخصية، وسأل سائل: – (من فعلها؟) وأجاب المجيب(انا) لكان الكلام تاماً لكنك في حروف الجر مثلا لو سألت (من فيها) لأجبت (فيها رجل) فكان احتياجك للحرف ومميزه على عكس الاشاريات.

٣-من الناحية المعنوية الاشاريات يمكنها أن تكون في موقع المسند أو المسند اليه لكن الحروف لا يمكنها أن ترقى الى الإسنادية الا بمضافها المفهم فهي محتاجة الى ما يكمل معناها.

٤-الاشاريات تدل على تصورات في الخارج وإن كانت مبهمة فيما تفتقر الحروف الى تلك الشيئية في الخارج مع انها فضاء مكاني وزماني او استفهامي او تحمل معاني السلب والايجاب.

الاشاريات الشخصية في دعاء كميل: الاشاريات ركن أساس من أركان الكلام، وهي جزء من أجزاء أي نص من النصوص الأدبية، وهي في النصوص الادبية الرفيعة ومنها نص دعاء

كميل بن زياد مصدر إبداع وإشعاع تعبر عن معانٍ إبداعية، استعملت في نظامها اللغوي والنظام التداولي كما كانت عنصرا من عناصر إفهام المعنى العابر للغة، وسنسلط الضوء في تفاصيل ما يهب الله لنا من أفكار مدعومة بالأدلة، وما تسمح به مساحة هذا المقال.

إشارية الكاف: يفتتح النص في دعاء كميل بالخطاب المباشر (("اللهم" إني اسألك))[٧]، ثم بالحديث المباشر (إنّي) بتركيب (إنّ + ياء المتكلم) والاداة (إنّ) هي مشير يدل على التأكيد مضاف اليه ياء المتكلم، وهذا التأكيد يسوغ عدم استخدام اشارية (انا) فلو استعمل اشارية "انا" مباشرة لما حملت التأكيد الذي تحمله (أنّ+ ياء المتكلم) كما في اشارية "أنا" كبرٌ لا يتناسب وموقف الاقرار في الدعاء بخالص العبودية، مع لحاظ أنّ (النون مع الياء) تشير إلى الضميرية الشخصية، و(النون مع الكاف) تشير الى الضميرية المخاطبية و(النون مع الهاء) تشير الى الضميرية الغائبية للمؤنث وغير العاقل، و(النون مه الهاء المضاف اليه ميم الجمع) تشير الى الضميرية الغائبية للجمع العاقل ولعلنا لو عدنا الى الخلاف البصري الكوفي لتصيدنا ثمرة تداولية؛ فقد اختلف البصريون والكوفيون في الضمير "اياك" وقال ابو البركات الانباري في الانصاف ((واما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: انما قلنا إن "إيا" هي الضمير دون الكاف والهاء والياء، وذلك لأنا أجمعنا على أن احدهما ضمير منفصل، والضمائر المنفصلة لا يجوز أن تكون على حرف واحد))[٨] والبصريون في رأيهم هذا يعتقدون أن الضمير (ايا) والكاف والهاء والياء لواصق فيما يختلف الكوفيون معهم في انهم يرون أن ((أن الكاف والهاء والياء من "أيّاك، وإيّاه، وإيّاي" هي الضمائر المنصوبة، وأن "إيا" عماد))[٩] والى هذا الرأي ذهب ابن كيسان كما نسب الانباري للخليل بن احمد ((أن "إيا" اسم مضمر اضيف الى الكاف، والهاء، والياء؛ لأنه لا يفيد معنى بانفراده ولا يقع معرفة))[١٠] وكما قلنا آنِفا إن البصريين يعدونها لواصق فيما يراه الكوفيون "ضمائر" و"إيا" عماد ترتكز عليه هذه الضمائر، وهنا يجد الباحث أن البصريين جعلوها لواصق لان القاعدة المنطقية لديهم عددية وليست معنوية أو تداولية فهم

٧ الطوسي، ابي جعفر. مصباح المتهجدين. صححه واشرف عليه الاعلمي، حسين ط١ (لبنان: مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٨م)، ٥٨٤.
٨ الانباري، الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، مسألة ٩٥ الجزء الثاني ٦٩٦.
٩ الانباري، المسألة ٩٨ الجزء الثاني ٦٩٥.
١٠ الانباري، المسألة ٩٨ الجزء الثاني ٦٩٥.

لايقبلون أن يكون (الحرف الفرد ضميرا) فجعلوا "إيا" ضميرا؛ لأنها أكثر حروفاً في المبنى مع تدليسهم عن المعنى فيما نظر الكوفيون الى المعنى فجعلوا الضمير هذه الحروف ونظروا لـ"إيا" على أنها عماد تحمل الحروف كما تحمل السارية العلم لو جاز لنا أن نشبه ورأيهم هذا قريب من مراد الخليل الذي نظر الى المعنى واهتم به أكثر من اهتمامه بالكم العددي لأحرف البناء فهو يعتقد أن "إيا" اسم مضمر أضيف الى الكاف والهاء والياء؛ لأن هذه الضمائر تحتاج الى ما يعرفها كاحتياج النكرة الى المعرفة والباحث يعتقد أن القضية هي خلاف ضخمه المتأخرون؛ لأن البصريين لم ينكروا دلالتها المعنوية التداولية الا انهم عدوها لواصق لانطلاقهم من قاعدة الكم العددي المنطقية والكوفيون نظروا الى دلالتها المعنوية لأن "إيا" غير مقصود لذاتها بل المقصود هذه الضمائر ولما كانت هذه الضمائر لاتقوم بنفسها احتاجت الى عماد تقوم به وكذلك نظر اليها الخليل بن احمد الذي بين أنها الضمائر و"ايا" مضمر اتصل بالضمائر لان هذه الضمائر كالنكرات وان كانت هي المعنى التداولي الذي يريده المتكلم، كما يعتقد الباحث هذه اللواصق او الضمائر او الاشاريات سَمها ما شئت معان تداولية من جانب ودلالات نفسية من جانب آخر، فالنون دائما ما تشير الى الكينونة، والكاف تدل على الخطاب، والهاء تدل على الغيبة والكاف المتبوعة بالميم دالة على مشير الخطاب العددي؛ لأن إيا+(كم) تشير الى مجموع المخاطب وإيا+(هم) تشير الى مجموع الغائب و إيا+(هن) تشير الى العدد والجنس والغيبة فهي تشير الى مجموع الغائب من الإناث العاقل وغير العاقل؛ وهذه الدلالة لا تشير الى (إيا) فقط بل تشير الى موارد اخرى كالمشبهات بالفعل او ما يطلق عليها التداوليون بالراوبط الحجاجية مثل (إنّ) و (كأنّ) و (لكن) و (ليت) و (لعل).

ويلحظ من الدعاء خروج إشارية (ياء المتكلم) الدالة على المتكلم عن الشخصية إلى الدلالة الاجتماعية المخصوصة بالمؤمنين؛ لأنّ النص متصل بما بعدها وإن الإقرار بوحدانية الله وربوبيته مخصوصة بالمسلم دون غيره من الديانات الإشراكية، فالياء عضو داخل نسيج النص تفسره ويعطيها الحيوية التخاطبية[١١]؛ وهو ما يفسر استعمال حرف الجر(الباء) الذي يحمل معنى الالصاق في عموم القطعة او الفضاءات النصية الواردة ((اللهُمَّ إنّي أسألُكَ

١١ الازهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط١ (لبنان: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م)، ١١٦.

بِرحَمتِكَ الَّتي وَسِعَت كُلَّ شيءٍ، وَبِقوَّتِكَ الَّتي قَهرتَ بِها كُلَّ شيءٍ،... وَبِجَبَروتِكَ الَّتي غَلَبتَ بِها كُلَّ شيءٍ، وَبعَزَّتِكَ الَّتي لا يَقومُ لَها شيءٌ، وَبِعَظَمَتِكَ...))[١٢]، وهذا الإلصاق دال على معتقد الامامية بأنّ صفاته ليست زائدة[١٣] على كمال واجب الوجود تعالى[١٤] ولهذا لم يستعمل في الدعاء فعل الأمر/ الدعاء(اللهم ارحمني)أو (اللهم رحمتك) بل استعمل "برحمتك" واضاف إلى "رحمتك"(التي وسعت كل شيء؛ وبجبروتك التي غلبت كل شيء) فنسب الاتساع على كل شيء بالرحمة والغلبة للجبروت ولو كانت زائدة على واجب الوجود لكان اشراكا من الداعي.

ويلحظ من النص استعمال ياء المتكلم الدالة على الخطاب المباشر كما استعمل كاف الخطاب الدالة على الدعاء المباشر والتي تلونت في لفظتين متتابعتين في النص(اسألك، برحمتك) فالسؤال المباشر في الأولى لله تعالى(اللهم إنّي اسألك) "انت" فيما توحي "الكاف الثانية" إلى انها لغير الله تعالى "برحمتك" وهذا توهم لأن (الاولى، والثانية) تشير إلى الله تعالى الواحد؛ وإن كانت الثانية تشير إلى صفة من صفاته وإنّ نصب الأولى على المفعولية وجر الثانية على الاضافة هو استعمال الواسطة، فمن جهة رحمتك أتوسط لتسعني وهي واسعة، ومن جهة غلبتك على كل شيء أتوسط بجبروتك، وهذه الرحمة والجبروت ملاصق لله تعالى فالباء حملت ايضا معنى الالصاق، وهذا الالصاق ليس زائدا[١٥] على صفته تعالى؛ لأنّ علماء الكلام لا يرون في واجب الوجود ثنائية.

ثم انتقل بعد ذلك من السؤال بالرحمة مستعملا الخطاب الحجاجي لاكتساب الرضا انتقل إلى استعمال خطاب البراءة من الذنوب، وهنا اخذت الاشاريات مستوى آخر يختلف عن مستوى السؤال المباشر والسؤال بالواسطة الى البراءة ((اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم...))[١٦] وهنا استعمل اشارية الاسم الموصول الدال على المؤنث متصلا بالفعل المضارع المستمر؛ لأنّها متواصلة بعملية الهتك ولم يستعمل اسم الفاعل (الهاتكة) لأنّ اسم الفاعل يوحي

١٢ الطوسي، مصباح المتهجدين، ٥٨٤.
١٣ ابي جعفر الصدوق، عيون أخبار الرضا. صححه وقدم له وعلق عليه الأعلمي، حسين (لبنان - بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م)، ١٥٢_١٥٣.
١٤ السبحاني، جعفر. محاضرات في الالهيات. تلخيص الكلبكياني، علي (منشورات الامام الصادق، ١٤٤٠هـ)، ٥٣.
١٥ السبحاني، ٥٣.
١٦ الطوسي، مصباح المتهجدين، ٤٨٥.

بانقطاع التوبة أمّا الفعل المضارع المستمر مع أنّ النفس مستمرة بانتهاكاتها إلا أنّ الله يمنح التوبة لعباده ولا يغلق عليهم طريق الرجوع إليه وهو ما عقله المؤمن فكان مسوغا لحضوره في عرصة الخالق لتلاوة دعاء كميل بصورة خاصة وأي دعاء آخر بصورة عامة. وهنا تمكن الاشارة الى أن "شجاعة العربية" او "الالتفات" بالافعال من سمات بلاغة هذه اللغة.

اشارية هاء الفاعلين: يلحظ في خطاب الدعاء استعمال "هاء الفاعل" الدالة على المخاطب المباشر والمباشرة ضرورة من ضروريات الدعاء؛ لأنّ الدعاء خطاب العبد لرّبه؛ لكن في دعاء كميل يضمر المتكلم قارئا آخر ذكره أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ عندما علمه لكميل بن زياد فهو يقول: ((يا كميل الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع))[١٧] لذا فالخطاب في دعاء كميل افترض ثلاثة متعلمين أو ثلاثة مستويات؛ متعلم عالم، ومتعلم مكلف يريد النجاة، ومتعلم ثالث يردد الدعاء لمجرد الدعاء بحثا عن الأجر؛ فأمّا المتعلم المكلف فيكتفي باستعمال الهاء لمخاطبة ربه في دعاء يبغي منه ستر القبائح؛ أمّا القارئ "العالم الرباني" فينظر إلى النص نظرة أخرى؛ لذلك يرى المفسرون لنصوص دعاء كميل أنّ المقطوعة من الدعاء((كَم مِن قَبيحٍ سَتَرتَهُ، وَكَم مِن فادِحٍ مِنَ البَلاءِ أَقَلتَهُ، وَكَم مِن عِثارٍ وَقَيتَهُ، وَكَم مِن مَكروهٍ دَفَعتَهُ، وَكَم مِن ثَناءٍ جَميلٍ لَستُ أهلاً لَهُ نَشَرتَهُ)) تشير الهاء هنا إلى علة في أنْ ينسب الله جل وعلا لنفسه ستر القبائح واقالة الفادح من الامور ودفع المكاره بدون واسطة من ملك مأمور أو سفير[١٨]؛ بل بالمباشرة وان الاشاريات هنا كان لها دور في تحديد التحولات بين الغياب والحضور فهي بالاضافة الى انها عامل ربط بين الكلمات هي في الحين نفسه عامل من عوامل الافهام وتوضيح الجمل والتراكيب، فهاء الغيبة مثلا تشير الى الغائب بمعونة الجمل والتراكيب فيما تدل هاء الحضور على نوع آخر من الخطاب هو الاشارة على المخاطب المعروف، ففي الوقت الذي تكون فيه ضمائر الحضور ذات مرجعيات حاضرة في النص فإن ضمائر الغيبة تشير الى مرجعيات مبهمة تحتاج الى مزيد من الافهام، وهذا الافهام اما ان يكون عن طريق القاعدة الاولى للتفاهم بين المتكلم والمخاطب او من طريق المتكلم نفسه الذي يحتاج الى مزيد من المشقة لإفهام مخاطبه.

١٧ الشمري، واثق. اسرار الليل في شرح دعاء كميل اطروحة جديدة في شرح هذا الدعاء المبارك، ط١، ٢٠١٠م، ١٣_١٤.
١٨ الحكواتي، يحيى بن بهاء الدين. شرح ورد الستار. تحقيق مزيد، احمد (دار الكتب العلمية، د.ت) ;٩٠_١٩ الغزالي، ابو حامد محمد. احياء علوم الدين، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥م)، الجزء الاول ١٠٢.

ويلحظ استعمال الهاء مشيراً على العموم والخصوص في النص، فاستعمل مع العبد المخصوص خطاب المباشرة؛ أما في خطاب الكثرة والعموم فاستعمل الهاء مشيرا فقد نقل في الدعاء((يا مَولايَ فَكَيفَ يَبقى في العَذابِ وَهُوَ يَرجوُ ما سَلفَ مِن حِلمِكَ أم كَيفَ تُؤلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يأمَلُ فَضلَكَ وَرَحمَتَكَ أم كَيفَ يُحرِقُهُ لَهيبُها وَأنتَ تَسمَعُ صَوتَهُ وَتَرى مَكانَهُ أم كَيفَ يَشتَمِلُ عَلَيهِ زَفيرُها وَأنتَ تَعلَمُ ضَعفَهُ))[١٩] فيلحظ من النص انتقال خطاب العبد من المباشرة الدالة على الذاتية إلى (الهاء) الدالة على الغيبة الفاعلية، وخطاب الحضور يدل على التعظيم للخالق(مولاي)؛ أما خطاب الغيبة فيدل على التصغير (مكانه) –اي مكان العبد– وهذا التفات[٢٠]؛ وذلك لأنّ الداعي يؤمن برحمة الله الواسعة وعدم قنوطه وإنّ الهاء تلائم (المسلم) فبالعودة للخطاب المباشر فقد استعمل المتكلم المباشرة مع مقالة ((وَلأُنادِيَنَّكَ أينَ كُنتَ يا وَليَّ المُؤمِنينَ، يا غايَةَ آمالِ العارِفينَ))[٢١] فيما استعمل هاء الغيبة مع مقولة ((صَوتَ عَبدٍ مُسلِمٍ))[٢٢] وهو مشير على أنّ المؤمن العارف(المخصوص بالقرب) لا يحجب الله دعاءه فيكون دعاؤه مباشرا مع الله تعالى فيما يكون دعاء (المسلم العام/ غير المخصوص) دعاء محجوباً أو محتاجاً لسبب ما ترتبط في خطابه الغيبة بالهاء؛ لكن الله برحمته الشاملة لن يتركه وأن على المسلم تجنب القنوط والشك في رحمة الله تعالى وأن المباشرة مشير إلى المحبة والغيبة مشير إلى البعد وهذا التلون في استعمال الضمائر كما ترى ليس تلوينا شكلياً بل هو تلوين بلاغي يحمل معنى جليلاً[٢٣]، وتجب الاشارة هنا الى المتكلم بالدعاء لم يقصد بالغيبة عبداً آخر بل قصد نفسه (هو يرجو فضلك) لا تشير للغائب في معناها التداولي هنا بل هي كناية عن الشخصية (هو) تشير الى (انا) و(هو) هنا خطاب استصغار الانسان لنفسه أمام ربه وخالقه العظيم وهي أكثر تأدباً في خطاب العبد مع ربه، وهذه الضمائر تشير الى العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وهنا مجموعة من العلاقات التي يلحظها الباحث من الخطاب:

١٩ الطوسي، مصباح المتهجدين٥٨٦.
٢٠ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الأديب والشاعر. تحقيق عبدالحميد، محمد محي الدين. د.ط. (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٩م)، ٥_٦.
٢١ الطوسي، مصباح المتهجدين٥٨٦.
٢٢ الطوسي، ٥٨٦.
٢٣ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الأديب والشاعر; ٧ طبل، حسن. اسلوب الاتفات في البلاغة القرآنية (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م)، ١١.

١-علاقة العبد بربه سواء اكان هذا العبد معصوما أو عبداً عادياً.

٢-علاقة أخرى هي علاقة العبد(المعصوم) من ربه، فالمعصوم أنزله الله منزلة القرب منه وهذه العلاقة أو المنزلة يعرفها المعصوم كما يعرفها الله تعالى فليست صدقية المعصوم في خطاب ربه كصدقية باقي العبيد من ربهم، وهذه الصدقية يعرفها الخالق؛ لذا جعل لذلك المعصوم تلك المنزلة القربية.

٣-العلاقة الثالثة هي علاقة العبد المؤمن بربَّه ومدى القرب، الذي يختلف في قربه عن العبد المسلم او العبد غير المسلم او العبد الملحد، فالملحد ربما يقرأ الدعاء كنص ترفي او اكاديمي لاستكناه مواقع الجمال فيه، اما العبد المؤمن الذي يقرأ الدعاء بخشوع ومعرفة ونية صادقة فهو في منزلة القرب والخشوع التي لا تصل الى منزلة المعصوم لكنها ترتفع عن منزلة غيره من المؤمنين او المسلمين فالادنى فالادنى.

ويلحظ تحول الضمير من الغيبة للحضور (هو) – (انا) وقد اشار (جون كوهن) في وصفه لحديث الشاعر إلى ذلك بان حديثه "شاذ"[٢٤] وهذا الشذوذ ليس شذوذا تداوليا او معرفيا بل هو شذوذ استعمال اللغة او ما أطلق عليه مصطلح الانزياح، فضمير الغيبة الذي وضع في اللغة للغيبة يستعمل في الحضور ويشير الى أعرف المعارف(انا) الشخصية وهو ما يسمى بانزياح النظام اللغوي الى النظام التداولي، إن تحول الضمائر هنا ليس من قبيل ما اسماها "اتيان سوريو" بالدلالة المعقدة او المستعصية على الادراك[٢٥] لأن مسوغها العلاقة بين المتكلم والمخاطب ومكانة المتكلم من المخاطب لذا اطلق العرب على تركيب الامر من الداني الى العالي بـ"الدعاء" تمييزاً لمكانة المتكلم من المخاطب على الرغم من أن صيغ الدعاء صيغ أمرية.

ويلحظ استعمال هاء للغيبة من المتكلم بعد الانتقال من المباشرة يشير للإشارة إلى غاية المحتاجين فهو يقول: ((اللهُمَّ إنّي أسأَلُكَ سُؤالَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ، أن تُسامِحَني وَتَرحَمَني، وَتَجعَلَني بِقِسَمِكَ راضياً قانِعاً، وَفي جَميعِ الأحوالِ مُتَواضِعاً. اللهُمَّ وَأسأَلُكَ سُؤالَ مَن اشتَدَّت فاقَتُهُ، وَأنزَلَ بِكَ عِندَ الشَّدائِدِ حاجَتَهُ، وَعَظُمَ فيما عِندَكَ رَغبَتُهُ))[٢٦] فقد أورد المتكلم في بداية

٢٤ كوهين، جان. بنية اللغة الشعرية. ترجمة الولي، محمد و العمري، محمد. ط ١ (المغرب: دار توبقال-الدار البيضاء، ١٩٨٦م)، ١٥.
٢٥ كوهين، ١٥١.
٢٦ الطوسي، مصباح المتهجدين، ٥٨٤.

نصه إشاريات مباشرة:(اسألك، تسامحني، ترحمني، تجعلني) ثم انتقل الى خطاب الغائب بالهاء (فاقته، حاجته، رغبته) وهنا يبادرنا السؤال: وهل المتكلم ليس في (فاقة، حاجة، رغبة) فلم لم يقل: (فاقتي، حاجتي، رغبتي)؟ والجواب أنّ العبد المخصوص في (فاقة/ وحاجة/ ورغبة) أكبر لكنّه يريد أن ينال ما يناله من هو اشد (فاقة وحاجة ورغبة) ويريد أن يتقمص حال من هو أشد تلك الحالات؛ لأنّه ربما يرى في نفسه تلك الفاقة والحاجة والرغبة الشديدة إلا أن في علم الله من هو أشد منه هو؛ لذا ذهب للطلب بلسان الغائب الذي ربما هو اشد -أي ذلك الموجود الذي هو في علم الله أشد فاقة وحاجة ورغبة- والذي لا يعرفه المتكلم أو قد يشير المتكلم إلى ما يقول به أهل الفلسفة والكلام من ثنائية الانسان المتكون من (الجواهر والاعراض)[٢٧] كما ان الالتفات[٢٨] عند البلاغيين والأسلوبيين أسلوب من أساليب البلاغة العربية الذي كثر في القرآن الكريم وأدعية المعصومين ﷺ بل هو ((خلاصة علم البيان التي حولها يُدَندَن، وإليها تستند البلاغة، وعنها يعنعن، وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله... ويسمى ايضا "شجاعة العربية" وانما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام... القسم الاول: في الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة))[٢٩].

ويلحظ في هذه الهاء تخصيصها لمعنى الجنس المذكر والمؤنث بزيادة إشارية الالف بعدها نحو قول الدعاء: ((وَخضَعَ لَها كُلُّ شيءٍ، وَذَلَّ لَها كُلُّ شيءٍ، وَبِجَبَروتِكَ الَّتي غَلَبتَ بِها))[٣٠] ففي الاشارة للمذكر تذكر الهاء وحدها أمّا في التأنيث فيضاف اليها الهاء "خضع لها"، "ذل لها"، "غلبت بها" كما انها تمنع للكلام معنى الجموع نحو "لهم"، "بهم".

تاء الفاعلية: تاء الفاعلية من الاشاريات الخطيرة، هذه الاشارية تلتصق بنهاية الفعل الماضي فتدل على معانٍ تتحكم فيها الحركات (تُ،تَ،تِ) وهذا التأثر المعنوي من أول مستوياته تغيير حركة الفعل الماضي الاعرابية من (الفتحة الظاهرة)إلى البناء على (السكون) اي نزع الحركة عن الفعل لتسلب الفعل الماضي المعنوية لتكتسبها إلى نفسها ((وَتَجَرَّأتُ

٢٧ الطباطبائي، محمد حسين. نهاية الحكمة. علق عليه المصباح، محمد تقي (بيروت: مؤسسة الخرسان للمطبوعات، د.ت) الجزء الأول ١٣.
٢٨ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الأديب والشاعر، الجزء الثاني ٤.
٢٩ ابن الأثير، الجزء الثاني ٤.
٣٠ الطوسي، مصباح المتهجدين، ٥٨٤.

بِجَهلي، وَسَكَنتُ إلى قَديمِ ذِكرِكَ لي، وَمَنِّكَ عَلَيَّ. اللهُمَّ مَولايَ كَم مِن قَبيحٍ سَتَرتَهُ، وَكَم مِن فادِحٍ مِنَ البَلاءِ أَقَلتَهُ، وَكَم مِن عِثارٍ وَقَيتَهُ، وَكَم مِن مَكروهٍ دَفَعتَهُ، وَكَم مِن ثَناءٍ جَميلٍ لَستُ أَهلاً لَهُ نَشَرتَهُ))[٣١] فقد سلبت هذه الاشارية التي تدل على نوع المتكلم أو جنسه حركة الفعل الماضي فاحالته من دون حركة؛ لأنها بحركتها وهي العامل الخامل أعطت نوع الفاعل للفعل لأن الفعل في نفسه مجرد من العددية والنوعية. قال ابن السراج في أصوله: ((اعلم: أن الأفعال لا تثنى ولا تجمع، وذلك لأنها أجناس كمصادرها، ألا ترى أنك تقول: بلغني ضربكم زيدًا كثيرًا، وجلوسكم إلى زيد قليلًا، كان الضربُ والجلوس قليلًا أو كثيرًا، وإنما يثنى الفاعل في الفعل))[٣٢] وإلى ذلك اشار ابن هشام:((إن عاملهما لَا تلْحقهُ عَلامَة تَثْنِيَة وَلَا جمع فِي الْأَمر الْغَائِب بل تَقول قَامَ أَخَوَاك وَقَامَ إِخْوَتك وَقَامَ نسوتك كَمَا تَقول قَامَ أَخُوك وَمن الْعَرَب من يلْحق عَلَامَات دَالَّة على ذَلِك كَمَا يلْحق الْجَمِيع عَلامَة دَالَّة على التَّأْنِيث كَقَوْلِه "تولى قتال المارقين بِنَفسِهِ... وَقد أسلماه مبعد وحميم" وَقَوله صلى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم يتعاقبون فِيكُم مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وملائكة بِالنَّهَارِ وَقَول بعض الْعَرَب أكلوني البراغيث))[٣٣]، فالفعل الماضي "قصر وقعد" لايشير إلى فاعل مع ضرورة وجود فاعل ((محور العلم الإلهي هو العلَّة المطلقة والمعلول المطلق؛ لأن الله تعالى على ما اتفقت عليه الآراء كلها ليس مبدأ لموجود معلول دون موجود معلول آخر، بل هو مبدأ للوجود المعلول على الإطلاق؛ ولذا يكون هو العلَّة المطلقة أيضًا))[٣٤] فدلت التاء على الفاعلية كما دلت التاء الساكنة على التأنيب نحو قول في الدعاء ((وَقَصُرَت بي أعمالي، وَقَعَدَت بي أغلالي))[٣٥].

ومن خطر هذه التاء "الاشارية الخاملة داخل النص" أنها تمنح الاسماء والافعال معاني عظيمة وتستعملها لغة البلاغة العربية كعنصر وهاج وفاعل في في تغيير المعاني فهي تتلون معنويا إذ التاء تدخل في بداية الفعل المضارع فتكسب الفاعل المذكر صفة الخطاب نحو

٣١ الطوسي، ٥٨٤.
٣٢ السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل. الأصول في النحو. تحقيق الفتلي،عبد الحسين. ط٣ (بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، الجزء الأول ١٧٢.
٣٣ ابن هشام، ابي محمد عبد الله. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب تحقيق عبد الحميد، محمد محي الدين. د.ط. (سوريا: دار الطلائع، د.ت) ٢٢٧_٢٢٨.
٣٤ ابن سينا، ابو علي. النجاة في المنطق والالهيات. تحقيق عميرة، عبد الرحمن (دار الجيل، د.ت) ٣٢٢.
٣٥ الطوسي، مصباح المتهجدين٥٨٥.

قولنا(تَكتب انت ، تَسمعُ انت) كما تشير الى بناء الفعل الى المجهولية (تُنزل) لكنها في الفعل المضارع لا تمنح بنفسها الفاعلية لغير الفاعل المخاطب؛ لأنّ الفاعلية الغائبية يستعاض فيها باشارية (الياء)نحو (يَكتبُ، يَسمعُ) والشخصية المتكلمة يستعاض فيها بالهمزة نحو(أكتبُ، أسمعُ) والاشارة للمجموع بالنون (نكتبُ، نسمعُ) فيما تغيب في أفعال الأمر، ويستعاض عنها بالهمزة فقط (اكتب، اسمع- اكتبوا، اسمعوا) كما انها تنسجم صوتيا بما بعدها فلو نظرنا للنص: ((اللهُمَّ اغفِر ليَ الذُّنوبَ الَّتي تَهتِكُ العِصَمَ، اللهُمَّ اغفِر ليَ الذُّنوبَ الَّتي تُنزِلُ النِّقَمَ. اللهُمَّ اغفِر ليَ الذُّنوبَ الَّتي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اللهُمَّ اغفِر ليَ الذُّنوبَ الَّتي تَحبِسُ الدُّعاءَ))[٣٦] فعلامتها في (تَهتك، وتَحبس) الفتحة في الوقت الذي نجدها مضمومة في(تُنزل، تُغيير).

اشاريات النداء والاستفهام: النداء عنصر مهم من عناصر الاشاريات، والنداء في الإشاريات الشخصية يتضمن الإشارة ((إلى مخاطبٍ؛ لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه وهي ليست مدمجةٌ فيما يتلوها من كلامٍ، بل تنفصل عنه بتنغيمٍ يميزها، وظاهرٌ أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه))[٣٧] فادخال النداء في الاشاريات، لأنها عنصر خامل كأي اشارية أخرى خارج النص فيما يمنحها النص وتمنحه حيوية عندما تكون داخله ((هذه العناصر تقوم بربط النص وتحقق تماسكه وانسجامه))[٣٨] وللنداء أحرفه وأدواته المختلفة الدالة على معانٍ في ذاتها وفي غيرها لكن المعنى الواقعي لا يقع الا داخل النص وكذلك ينطبق الحديث على الاستفهام فـ"كيف" تدل على الحال كمعنى مجرد خارج النص قواعديا ولا تكتسب هذا المعنى الواقع الا في ثنايا النص، وفي دعاء كميل يبدء النص بنداء ((اللهُمَّ اغفِر ليَ الذُّنوبَ)) وكان المفسرون قد قالوا أن "اللهم" حذفت منها ياء النداء وعوضت الميم بدل الياء؛ والباحث يتفق تماما مع هذا التفسير ولو افترض الباحث جدلا أنّ "اللهم" مجرد من ياء النداء فلا يضر بالنص شيئا؛ لأنّ النداء يمكن أن يكون بصيغة (اداة النداء + المنادى) ويمكن أن يكون بصيغة "المنادى مباشرة من دون اداة النداء" فالعربي يجرد المنادى من أدوات النداء في حديثه وينادي (زيد أو يا زيد) فالصيغة سواء مادام المتلقي يفهم قصد المتكلم أو

٣٦ الطوسي، ٥٨٤.
٣٧ نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر١٩.
٣٨ سمير، "الأبعاد التداولية في نهج البلاغة،" ١٤٣.

ربما تحذف اداة النداء تحذيرا عندما يرى المتكلم أن ذكر الاداة يطيل الكلام مما لا يناسب مقام التحذير او الندبة[٣٩] فالعرب حذفت الفعل باكمله وحذف أداة النداء أسهل كلفة من حذف الفعل؛ كما ورد النداء ايضا من دون أداة في الدعاء ((إلهي وَرَبّي مَن لي غَيرُكَ أسأَلَهُ كَشفَ ضُرّي وَالنَّظَرَ في أمري)) هذا الحذف كان قصده التنغيم والصوتي فباضافة "ياء" النداء سيختفي هذا التنغيم والصوتي ويضيع الوزن الموسيقي والشاعرية النظمية للدعاء.

ووردت بصيغة (يا النداء + المنادى) في الدعاء ((وَقَد أَتَيتُكَ يا إلهي)) وهذا النداء جاء العبد فيه مستغيثا بعد أن أعياه "إسرافي على نفسي) فالواو واو الحال مؤكداً هذا الاتيان بالفعل الماضي الذي يحمل صيغة التأكيد في نفسه وبواسطة "قد التحقيق".

ويلحظ كذلك أن النداء يمكن ان يكون بصيغة مرادفة مثل " فَأسأَلُكَ بِالقُدرَةِ الَّتي قَدَّرتَها" فهنا قصد المتكلم الدعاء بالنداء ولم يستعمل صيغة (اداة النداء+ المنادى) بل استعمل الفعل "اسألك" فيما وردت الاداة مع اسم الله تعالى ((يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ)) وهنا كرر النداء ثلاثا تحببا؛ لانه ختم بالسكت الجزئي أي لاشعار قارىء الدعاء بالزوم التوقف والسكت عن كل منادى هنا وهو الرب؛ أي يجب أن يقول قارىء الدعاء (يارِبِ) ويسكت ثم يعيدها (يارِبِ) ويسكت ثم يقولها ثالثا (يارِبِ) ويسكت؛ وهذا الأسلوب قرآني كما في سورة الحاقة﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة ٢٨-٩٢) اذ سكت عند الهاء في (ماليه، و سلطانيه) وهو إقرار من العبد بالربوبية لخالقه في صورة من صور الانقياد الكامل.

ويلحظ في النداء كذلك أن الدعاء يركز على معتقدات الموحد بالصفات الالهية التي اختصها الله لنفسه ((يا نُورُ يا قُدّوسُ، يا أَوَّلَ الأَوَّلينَ...)) فقصد المتكلم هنا أن يثبت صفات الله الاول الازلي وهو بعد تداولي، وهنا تجب الاشارة الى نكتة عظيمة في التركيز على العقيدة في "بداية الحكمة" عند الفلاسفة المختصة بدراسة الوحدانية ، كما تجدر الاشارة الى نكتة أخرى في دراسة البعد الخارجي للدعاء، فالدعاء مما اختص به العبد الصالح الخضر ﷺ ليذكرنا بوصية ابراهيم الخليل ﷺ لبنيه قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة ١٣٢) فقد وصى إبراهيم ﷺ

٣٩ المخزومي، مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه (دار الرائد العربي، ١٩٨٦م)، ٢١٢.

بنيه وكذلك وصى يعقوب﵇ بنيه بأن الدين هو الاسلام ويعقوب هو "اسرائيل" نفسه فكيف يوصي ابراهيم واسرائيل الذي يمثل عقيدة بني اسرائيل (بالاسلام) باعتباره هو " الدين" فهل في ذلك تناقض؟

والحقيقة فيما اورده المفسرون أن (الاسلام) هو الدين الذي أوصت به الانبياء والرسل ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَ لَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(ال عمران٦٧)، وأن المعنى العام للاسلام هو الدين كأصول هي: (التوحيد، والنبوة، والإمامة، والايمان باليوم الاخر (الميعاد)، والعدل)، وهذه الاصول هي الدين التي هي الاسلام في كل الشرائع، وهناك معنى خاص للاسلام وهو الشريعة التي جاءت بعد شرائع الله المتقدمة كاليهودية والنصرانية، وفي هذا التأكيد التداولي لدعاء الخضر ﵇ أو دعاء كميل بين زياد الذي علمه امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﵇ تأكيد اصول الإسلام "الدين"؛ لذلك جعل الله من شريعة النبي محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام خاتما؛ لأنه الدين الذي كرم الله به الانبياء جميعا وجعلها شرائع للامم المتعاقبة حتى أكرم الله أمة الاسلام بهذا الدين فكان خاصا بالأنبياء والرسل وعاما لأمة محمد صلى الله عليه واله وحدها في حين لم يجعله عاما لسائر الأمم السابقة.

ونلحظ في الدعاء خطابا حجاجيا باستعمال أسلوب النداء يشرع فيه المتكلم بطلب الرحمة لضعف البدن ورقة الجلد الذي لا يحتمل عذاب النار ثم عرض العبادات التي لا تتناسب مع العذاب رحمة من الله بالعبد ثم اليقين من العبد بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى((يا رَبِّ ارحَم ضَعفَ بَدَني، وَرِقَّةَ جِلدي وَدِقَّةَ عَظمي، يا مَن بَدَأَ خَلقي وَذِكري وَتَربيَتي وَبِرّي وَتَغذيَتي، هَبني لابتِداءِ كَرَمِكَ وَسالِفِ بِرِّكَ بي، يا إلهي وَسَيِّدي وَرَبّي، أتُراكَ مُعَذِّبي بِنارِكَ بَعدَ تَوحيدِكَ وَبَعدَما انطَوى عَلَيهِ قَلبي مِن مَعرِفَتِكَ، وَلَهِجَ بِهِ لِساني مِن ذِكرِكَ، وَاعتَقَدَهُ ضَميري مِن حُبِّكَ وَبَعدَ صِدقِ اعتِرافي وَدُعائي خاضِعاً لِرُبوبيَّتِكَ، هَيهاتَ أنتَ أكرَمُ مِن أن تُضَيِّعَ مَن رَبَّيتَهُ))[٤٠] وأن البعد التداولي في هذا النص الذي استعمل فيه اسلوب النداء يراد فيه بالبعد الاول الدعاء والطلب من الله لكن المتكلم يضمر قارئاً افتراضيا يخاطبه بأن

٤٠ الطوسي، مصباح المتهجدين٥٨٥.

جسدك أيها الانسان ضعيف لا يقوى على العذاب الدنيوي فكيف بالعذاب الالهي العظيم وان رقة جلدك لا تقوى على تحمل النار المحرقة فكيف بك؟.. وهنا يأتي الفرج في عتمة الفضاء الاول من هذا النص اذ يقول المتكلم لقارئه الافتراضي أن الرب العظيم الذي قدم اليك النعم الكثيرة خلال رحلتك من العدم الى النشوء والطفولة هو أرحم بك من نفسك وانما يحذرك من أجل أن لا تقع في العذاب، فكثرة التحذير تشير الى مدى حب الخالق لعبده خاصة اذا لم يشرك العبد بربه لسانا ثم قلبيا ثم الاعتراف بعجزي على مقابلة نعمك بالشكر فيختم نصه " هيهات أنت اكرم من ان تضيّع من ربيته" وهذا ما يسوغ الاكثار من لفظ "يا رب" مع أن لفظة الاله كانت تكفي، فـ"كيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك" كيف الاستفهامية أشارت الى بعد حجاجي، وكانت رابطا حجاجيا في النص، وهنا اتحد النداء والاستفهام في الإشارة الى البعد التداولي لغرض حجاجي.

ويتواصل البعد الحجاجي التداولي باستعمال إشارية النداء والاستفهام مسبوقا بالقسم:((وَلَيتَ شِعري يا سَيِّدي وَإلهي وَمَولايَ أتُسَلِّطُ النّارَ عَلى وُجوهٍ خَرَّت لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً)) "وليت شعري" قسم يتلوه نداء" يا سيدي وإلهي" ثم استفهام استنكاري" أتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة" فالمانع من تسليط النار على عبدك هو "السجود لعظمتك، وأشارت باستغفارك مذعنة" وهي خطاب للمتلقي الافتراضي يراد منه أن السجود والاستغفار مما يبعد العبد عن العذاب.

ثم يتردد أسلوب الدعاء بالنداء والاستفهام ((أم كَيفَ أسكُنُ في النّارِ وَرَجائي عَفوُكَ... أفَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَن كانَ فاسِقاً لا يَستَوونَ... فَكَيفَ أصبِرُ عَلى فِراقِكَ))[٤١] فالمستغفر والساجد مؤمن لا يستوي مع الفاسق، وهل يطيق المؤمن السكون في النار وهو يرجو العفو؟ وهل يستطيع المؤمن الصبر على فراق سيده ومولاه خاصة ان هذا الفراق مصحوب بغضب من المعشوق؟

٤١ الطوسي، مصباح المتهجدين.

النتائج التي توصل اليها البحث:

١-الاشاريات عنصر خامل خارج النص، ويأخذ فاعليته من النص كما يمنح النص الفاعلية المعنوية.

٢-الاشاريات عنصر إفهام بين المتكلم والمخاطب يعتمد على وجود قاعدة تفاهم بين المتكلم والمخاطب في الغالب، الا في بعض النصوص إذ يبتغي المتكلم إيهام مجموع المخاطبين المختلفين لإيصال رسالته الى مخاطب محدد من بين ذلك المجموع.

٣-الاشاريات عنصر من عناصر الايجاز والاختصار، وهو يختزل الاسماء والافعال كما يختزل الجمل رغبة في الإيجاز غير المخل.

٤-الاشاريات هي عنصر الدرجة الاولى من عناصر النص في الخطاب التداولي عند هانسون.

٥-الاشاريات في نص دعاء كميل بن زياد عناصر فاعلة زخرفت النص بالمعنى التداولي فلها بعدان بعد شكلي وبعد معنوي.

٦-خرجت الاشاريات في نص دعاء كميل بن زياد النخعي عن نظامها القواعدي الى نظام تداولي الغرض منه الافهام وايصال الرسالة الى المخاطب.

٧-استعمل نص الدعاء الشكل القواعدي لهذه الاشاريات كما حذف هذه الاشاريات لكن الدليل عليها في النص كان واضحا في مواضع التقرب الى الله ومواضع التحذير من عذاب الله والترغيب في رحمة الخالق العظيم.

٨-كانت النصوص تشير الى قارئ ضمني وقارئ افتراضي وهي من فاعليات الخطاب التداولي.

٩-القارئ الضمني كان حاضرا في بعض النصوص الا ان المقصود منه القارئ الافتراضي كما ان العكس صحيح ايضا.

المصادر:

القرآن الكريم
نحلة، أحمد . محمود. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. مصر: دار المعرفة الجديدة، ٢٠١١م.
أرميكو، فرانسواو. المقاربة التداولية. مركز الانماء القومي، ١٩٨٦م.
ابن الأثير. المثل السائر في أدب الأديب والشاعر . تحقيق عبدالحميد، محمد محي الدين. د.ط. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٩م.
ابن سينا، ابو علي. النجاة في المنطق والالهيات. تحقيق عميرة، عبد الرحمن. دار الجيل، د.ت.
ابن هشام، ابي محمد عبد الله. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تحقيق عبد الحميد، محمد محي الدين. د.ط. سوريا: دار الطلائع، د.ت.
الازهر الزناد. نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً. ط١. لبنان: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.
الانباري، كمال الدين. الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تحقيق عبد الحميد، محمد محي الدين. ط٤. مصر: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦١م.
الحسيني، أمجد ستار. "نصوص كتاب(من لايحضره الفقيه)للشيخ الصدوق٣٨١هـ دراسة تداولية." الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠م.
الحكواتي، يحيى بن بهاء الدين. شرح ورد الستار. تحقيق مزيد، احمد. دار الكتب العلمية، د.ت.
السبحاني، جعفر. محاضرات في الالهيات. تلخيص الكلبكياني، علي. منشورات الامام الصادق، ١٤٤٠هـ.
السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل. الأصول في النحو. تحقيق الفتلي، عبد الحسين. ط٣. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.
الشمري، واثق. اسرار الليل في شرح دعاء كميل اطروحة جديدة في شرح هذا الدعاء المبارك. ط١.، ٢٠١٠م.
الشهري، عبدالهادي. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
الصدوق، ابي جعفر. عيون أخبار الرضا. صححه وقدم له وعلق عليه الأعلمي، حسين. لبنان – بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م.
الطباطبائي، محمد حسين. نهاية الحكمة. علق عليه المصباح، محمد تقي. بيروت: مؤسسة الخرسان للمطبوعات، د.ت.
الطوسي، ابي جعفر. مصباح المتهجدين. صححه واشرف عليه الاعلمي، حسين. ط١. لبنان: مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٨م.
الغزالي، ابو حامد محمد. احياء علوم الدين. ط١. بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥م.
المخزومي، مهدي. في النحو العربي نقد وتوجيه. دار الرائد العربي، ١٩٨٦م.
سمير، يسرى خلف. "الأبعاد التداولية في نهج البلاغة." الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦م.
طبل، حسن. اسلوب الاتفات في البلاغة القرآنية. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.
كوهين، جان. بنية اللغة الشعرية. ترجمة الولي، محمد و العمري، محمد. ط ١. المغرب: دار تويقال–الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

References.

Holy Quran

Nahlah, Ahmad Mahmud. Afaq Jadidah fi al-Bahth al-Lughawi al-Mu'asir. Misr: Dar al-Ma'rifah al-Jadidah, 2011 Ad.

Armiku, Fransuwa. Al-Muqarabah al-Tadawuliyah. Markaz al-Inma' al-Qawmi, 1986 Ad.

Ibn al-Athir. Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa al-Sha'ir. Tahqiq 'Abd al-Hamid, Muhammad Muhyi al-Din. d.t. Misr: Matba'at 'Isa al-Babi al-Halabi, 1939 Ad.

Ibn Sina, Abu 'Ali. Al-Najat fi al-Mantiq wa al-Ilahiyat. Tahqiq 'Umayrah, 'Abd al-Rahman. Dar al-Jil, d.t.

Ibn Hisham, Abu Muhammad 'Abdullah. Sharh Shudhur al-Dhahab fi Ma'rifat Kalam al-'Arab. Tahqiq 'Abd al-Hamid, Muhammad Muhyi al-Din. d.t. Suriya: Dar al-Tala'i', d.t.

Al-Azhar al-Zinnad. Nasij al-Nass Bahth fi ma Yakun bihi al-Malfuz Nassan. T1. Lubnan: Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, 1993 Ad.

Al-Anbari, Kamal al-Din. Al-Insaf fi Masa'il al-Khilaf bayn al-Basriyyin wa al-Kufiyyin. Tahqiq 'Abd al-Hamid, Muhammad Muhyi al-Din. T4. Misr: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1961 Ad.

Al-Husayni, Amjad Sattar. "Nusus Kitab (Man la Yahduruh al-Faqih) lil-Shaykh al-Saduq 381h Dirasah Tadawuliyah." Al-Jami'ah al-Mustansiriyah, 2020 Ad.

Al-Hakawati, Yahya bin Baha' al-Din. Sharh Waradat al-Sitar. Tahqiq Muzayyid, Ahmad. Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, d.t.

Al-Subhani, Ja'far. Muhadarat fi al-Ilahiyat. Talkhis al-Kulbaykani, 'Ali. Manshurat al-Imam al-Sadiq, 1440 Ah.

Al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad bin al-Sari bin Sahl. Al-Usul fi al-Nahw. Tahqiq al-Fatli, 'Abd al-Husayn. T3. Bayrut - Lubnan: Mu'assasat al-Risalah, 1987 Ad.

Al-Shumri, Wathiq. Asrar al-Layl fi Sharh Du'a' Kumayl Atruhat Jadidah fi Sharh hadha al-Du'a' al-Mubarak. T1., 2010 Ad.

Al-Shuhri, 'Abd al-Hadi. Istiratijiyat al-Khitab Muqarabat Lughawiyat Tadawuliyah. Lubnan: Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah, 2004 Ad.

Al-Saduq, Abu Ja'far. 'Uyun Akhbar al-Rida. Sahhahahu wa Qaddama lahu wa 'Allaqa 'alayhi al-A'lami, Husayn. Lubnan - Bayrut: Mu'assasat al-A'lami lil-Matbu'at, 2005 Ad.

Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. Nihayat al-Hikmah. 'Allaqa 'alayhi al-Misbah, Muhammad Taqi. Bayrut: Mu'assasat al-Khursan lil-Matbu'at, d.t.

Al-Tusi, Abu Ja'far. Misbah al-Mutahajjidin. Sahhahahu wa Ashrafa 'alayhi al-A'lami, Husayn. T1. Lubnan: Mu'assasat al-A'lami, 1998 Ad.

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad. Ihya' 'Ulum al-Din. T1. Bayrut: Dar Ibn Hazm, 2005 Ad.

Al-Makhzumi, Mahdi. Fi al-Nahw al-'Arabi Naqd wa Tawjih. Dar al-Ra'id al-'Arabi, 1986 Ad.

Samir, Yusra Khalaf. "Al-Ab'ad al-Tadawuliyah fi Nahj al-Balaghah." Al-Jami'ah al-Mustansiriyah, 2016 Ad.

Tabl, Hasan. Uslub al-Iltifat fi al-Balaghah al-Qur'aniyah. Al-Qahirah: Dar al-Fikr al-'Arabi, 1998 Ad.

Kuwhin, Jan. Bunyat al-Lughah al-Shi'riyah. Tarjamat al-Wali, Muhammad wa al-'Umari, Muhammad. T1. Al-Maghrib: Dar Tuwayyiqal-Dar al-Bayda', 1986 Ad.